

الشیطان كان مطيعاً للرحمن لم تحقق له العبادة ومطلق الطاعة، كيف وقد ﴿كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ فالرحمن الذي منه الرحمة العامة لكل كائن كيف يترك إلى الشيطان وهو عصيُّ الرحمن، يبدل رحمته نقمة وهداه ضلالاً.

وترى إذ كان أبوه يعبد الشيطان فكيف يخاف عليه أن يمسه عذاب من الرحمن فيكون ولياً للشيطان، ومس العذاب وولاية الشيطان لزامان لمن يعبد الشيطان؟ والخوف يلمح بتردد راجح!.

في ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ لمحة أن إبراهيم عليه السلام لما يعرف حتى الآن أن أباه عدوٌ للرحمن، فكأنه مستضعف جاهل أو يحتمله، كما وأن ﴿فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ لمحة أخرى تؤيدها أنه لم يكن يعلم آنذاك ولايته المعمدة المعاندة الحق للشيطان، ومن ثم ﴿وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ أيدت تلك اللمحة فأعذرت إبراهيم في وعد الاستغفار وتحقيقه!.

ثم الإنسان ولي لمن والاه في الآخرة كما الأولى والله الآخرة والأولى. وهذه الدعوة اللطيفة الخفيفة بقاطع البرهان وأرق الألفاظ وأدقها لم تكن لتصل إلى قلب خاوٍ هاوٍ فإذا بآزر في عربدة نكراء وطنطنة غوغاء.

﴿قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَّبِعُهُمُ بَٰرِئٌ لِّمَن لَّمْ يَتَّبِعْنِي أَهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (٤٦):

فلم يكن لولي الشيطان جواب إلا سؤال التنديد الشديد: ﴿أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَّبِعُهُمُ﴾؟ رغبة عما أعبدته وأنا أبوك وهي آلهتي ﴿لِّمَن لَّمْ يَتَّبِعْنِي﴾ عن هذه الرغبة المعارضة ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ إذ كان الرجم شر عذاب: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمَنَّكَ﴾ (١) ﴿لِّمَن لَّمْ يَتَّبِعْنِي لَرَجَمَنَّكَ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢) ﴿وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ فاعزب عن محاورتي واغرب عن مواجهتي طويلاً! فالتلمي بشيء هو التمتع به بملاوة من دهر، وهناك شع له الرجاء بعد الخوف والعناء

(١) سورة هود، الآية: ٩١.

(٢) سورة يس، الآية: ١٨.

كان أباه يتمهل بالهجر الملي أن يفكر ملياً علّه يخرج عن غيّه، وذلك تمهلاً وشك مقدس أم إلى قداسة ولذلك يسلم عليه إبراهيم ويعده الاستغفار إذ:

﴿قَالَ سَلِمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿١٧﴾﴾:

هناك يسلم عليه ويعده الاستغفار ولما، ولماذا السلام على المشرك ووعده الاستغفار؟ و﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالزَّيْنِ ءَامِنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٧﴾﴾!

الجواب - ﴿وَمَا كَانَ اسْتَغْفَارُ إِبرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴿٢﴾﴾ . . . ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ﴾ هنا تبين أنه استغفر له قبل التبيين ف ﴿عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ لا تعني إلا موعدة آزر لإبراهيم حيث ترجى فيها هداه، فلم يتبين له أنه عدو لله رغم ما تقدم من عداه، ولا مجال لتفهم هذه الموعدة في القرآن إلا ﴿وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ فلو أنه كان مصرّاً في عداه لكان يرحمه أو يلزمه . كي لا ينشر دعوته ضد الآلهة، إذاً ﴿وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ تمتعاً بملاوة من الدهر، يرحيه بموعدة التفكير ملياً علّه يهتدي، أم يقول كلمته الأخيرة بعد مليّ التفكير، لذلك يسلم عليه إخباراً أنه سوف لا يرى منه سوء، ودعاءً أن الله يوفقه في هجرة الملي لهده، ثم يعده الاستغفار موعدة عن موعدة فاستغفر له بعد ملي لم ير منه ما كان يسمعه ويراه من عداه: ﴿وَأَغْفِرْ لَأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٣﴾﴾ ف ﴿كَانَ﴾ هنا تضرب إلى ماضي حاله، وأما حاله ومنذ موعده ﴿وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ فلم تبين له أنها استمرارية ضلاله، ولذلك يستغفر له ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ فلم يعد يستغفر لأبيه وإن استغفر لوالديه في نهاية أمره وخاتمة عمره عند بناء

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٣ .

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٤ .

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٨٦ .

البيت، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾^(١) فلو أن والده أبوه لأصبح كلام الله ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ كذباً، وأصبح إبراهيم رسول الله عاصياً إذ «لم يتبرأ منه»!

إذا فأبوه - هنا - لم يكن والده، ولم يستغفر لأبيه إلا عن موعده لم يتبين فيها أنه عدو لله فساحته إذاً براء عن الاستغفار للمشارك على تبين عداه، فإنما لا يجوز الاستغفار لمن تبين أنه عدو لله فهو من أصحاب الجحيم، دون المشكوك هداه وعدها.

إذاً فالاستغفار جائز لمن يجوز له أن يُغفر وإن كانت حالته الحاضرة كافرًا لا تُغفر إذ يجوز تحوله في مستقبل قبل أن يأخذه الأجل فيجوز له أن يغفر. وأما الذي تبين أنه من أصحاب الجحيم، إذ مات مشركاً فلا يستغفر له، لأنه تحميل على الله ما ليس ليقبله أو هزء به!

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ إذ وعدتني في هجري الملي خيراً ولـ ﴿إِنَّهُمْ كَانَتْ فِي حَفِيًّا﴾: براً لطيفاً، فالحفاوة الربانية تقتضي غفرك بما أستغفر لك، وهي لا تقتضي غفراً لأصحاب الجحيم..

فقد كان إبراهيم معذوراً في استغفاره لأبيه خطأ في موضوعه لا في حكمه وموضوعه، فلم تكن الأسوة الحسنة فيه تشمل خطأه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾^(٢) ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ...﴾^(٣).

وترى السلام على المشرك هل يجوز حال شركه مهما جاز الاستغفار له قبل أن يتبين كونه من أصحاب الجحيم؟.

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤١.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ قد يعني الإخبار أن لا يصلحك مني إلا سلام عدل أم فضل دونما ظلم ولا نقير، وهكذا سلام واجب كل مؤمن وجاه الآخرين أياً كانوا، مقالاً وحالاً وأفعالاً.

وقد يعني الدعاء أن يسلمك الله وينزل عليك رحمته السلام، وهذا لا يحق إلا لمن يستحق سلاماً من الله من مسلم لله آمن هو في سبيل الإسلام أو مشكوك حاله ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾^(١) وأما المقطوع انقطاعه عن الله، الشريد عن الله، والطريد عن رحمه الله، فلا يستحق سلاماً كما الاستغفار.

وكما جاز وعد الاستغفار لأبيه إذ لم يتبين له أنه عدو لله، كذلك السلام ولا سيما في مواجهة الدعوة إلى الله، حيث تجلب المدعو بحنانه إلى الله، وحتى إذا تبين أنه عدو لله، فسلام عليك بمعنى الإخبار لا محذور فيه! ﴿وَقِيلَ يَا يَرْبِ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ^(٣) ﴿١٨٩﴾ ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾^(٤) ﴿١٩٠﴾ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلِّمُوا^(٥).

إذاً فسلام الإخبار عام لا محذور فيه، وسلام الدعاء يخص غير من تبين أنه من أصحاب الجحيم، كدعاء الهداية والاستغفار، مهما كان في حاضره من الكفار.

والقول إن جواز السلام على الكفار لعله شرعة إبراهيمية ليست في الإسلام كما وعديد من الأحاديث تمنعه، جوابه أنه لم ينسخه القرآن. بل وأيده: «وقل سلام - سلام عليكم - قالوا سلاماً» وهذه الأحاديث مطروحة

(١) سورة طه، الآية: ٤٧.

(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

(٣) سورة القصص، الآية: ٥٥.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

بمخالفة القرآن، أو مؤولة إلى سلام الدعاء، المحذور على من تبين أنه من أصحاب الجحيم، دون سلام الإخبار، والسلام! .

﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي

شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ :

وترى كيف يعتزل صاحب الدعوة الرسالية مرسلًا إليهم ويدعو ربه بعيداً عنهم؟ إنه اعتزال عنهم وما يدعون من دون الله! فإذا يهدده المرسل إليه «لأرجمنك» وفي إمكانيته رحمه، ثم يطلب إليه هجره ملياً في لمحة إمهاله عليه يفكر ويرجع عن غيئه، وإلا فليعيش في جوّ الإشراك بالله دونما فائدة إلا ظلامه القرب من الأوثان، فالاعتزال إذا واجب أو راجح ذو أبعاد ثلاثة، وفيه ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ وعله يخفف عن وطأة الشرك في أبيه أو يهديه ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ هجر ملي ودعاء غير شقي ورب حفي وهنالك تتم وهبة الرحمة الربانية بلسان صدق علي ف «رحم الله عبداً طلب من الله ﷻ حاجة فآلح في الدعاء استُجيب له أو لم يستجب...» (١).

﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا

﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ :

أترى أن إسحاق هو بكر مواليد إبراهيم فيفرد بذكره هنا؟ أم هو إسماعيل كما يتقدم عليه فيما يذكران (٢)؟ بكره هو إسماعيل لتقدمه حيث

(١) نور الثقلين ٣: ٣٣٩ ح ٨٦ في أصول الكافي عن ابن قداح عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: . . . وتلا هذه الآية.

(٢) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩] ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١٤٠] و٣: ٨٤ و٤: ١٦٣ و٢: ١٣٣ و١٣٦.

يذكران، وقد يفرد بذكر إسحاق حيث المقام مقامه والأنبياء الإسرائيليين^(١) وهنا كأمثاله يقتصر على ذكره حيث الهدف ذكر توالي النبوة في الشجرة الإسرائيلية ولذلك يعقبه بـيعقوب ابنه دون إسماعيل أخيه، كما قد يذكر إسماعيل وحده دون إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢) حيث المقام يخصه دونه، وحين يجتمعان يتقدمه إسماعيل دونما استثناء! وفي التوراة تصديق أن إسماعيل بكر ولده^(٣).

﴿وَكَلَّمَ﴾ من إسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ رسولاً رفيع المنزلة بين الرسل ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ﴾ إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ من طيبة الولادة والعلم والعمل الصالح، رحمت متصلة بهم ومنفصلة عنهم، ومن الثانية ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ وهو إجابة لدعوته: ﴿وَأَجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٤) وما الآخرون في البيئة الرسالية الصادقة إلا محمد وعترته المعصومون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فهم إذاً لسان صدقه العلي!

هنا وإن لم يذكر إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ لم يكن المقام محله، فقد ذكر عالياً في لمحة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ حيث الآخرون هم من نسل إسماعيل وهم لسان صدق لهم علي ينطق بالرسالة الصادقة والولاية الفائقة ما لم يسبق له مثيل.

- (١) ﴿كَمَا أَنَّمَا عَلَىٰ أَبِيكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ [يُوسُفُ: ٦] ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يُوسُفُ: ٣٨] ولا مجال هنا لذكر إسماعيل إذ ليس أبا يوسف وإنما عمه.
- (٢) ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] ﴿وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨] ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].
- (٣) تكوين المخلوقات الأصحاح ١٦ - الآيات ١ - ٦ ومنها قول سارة زوجته «ادخل علي جاريتي لعلني أرزق منها بنين»^(٢).
- (٤) سورة الشعراء، الآية: ٨٤.

ولسان صدق من إضافة اللسان إلى أفضل حالاته وأشرف متصرفاته، وعلّ اللسان هنا لسانان: لسانهم الرسالي لأممهم، المبشر بلسان صدق في الآخرين كما بشروا في كتاباتهم بالرسول محمد ﷺ - ولسان آخر منفصل عنهم يصدقهم فيما أرسلوا وبشروا وهو محمد خاتم النبيين، لولا لسانه الصدق عنهم، المصدق لهم لما صدقنا رسالاتهم ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(١) والخاتم هو المصدق آخر الكتاب، ومحمد يختم كتاب الرسالات ختاماً وتصديقاً ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ...﴾^(٢).

فهم - إبراهيم - إسحاق - يعقوب - لسان صدق علي، ولهم في الآخرين لسان صدق علي محمد ﷺ وعلي وعترتهما المعصومون وهم أعلى! فأين نبي من نبي وولي من ولي وعلي من علي؟ .
وقد يعني ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمِنَا﴾ - في أهم ما يعنيه - أهل بيت الرسالة المحمدية، كما وأنهم لسان صدق علي^(٣) «ولسان الصدق للمرء يجعله الله في الناس خير من المال يأكله ويورثه»^(٤) أو «يورثه من لا يحمده»^(٥)!

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٣) نور الثقلين ٣: ٣٣٩ في تفسير القمي ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمِنَا﴾ [مريم: ٥٠] يعني لإبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿مِّن رَّحْمِنَا﴾: رسول الله ﷺ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ يعني أمير المؤمنين حدثني بذلك أبي عن الحسن بن علي العسكري ﷺ .
أقول: يعني أمير المؤمنين تفسير بمصداق مختلف فيه ليلحق بالمصداق المتفق عليه وهو الرسول ﷺ .

(٤) المصدر ح ٨٨ في أصول الكافي عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال أمير المؤمنين ﷺ .

(٥) في نهج البلاغة قال ﷺ: إن اللسان الصالح يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه من لا يحمده.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَذِيئَتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ :

المخلص - فتحاً - هو الذي أخلصه الله بعدما أخلص هو نفسه فأصبح مخلصاً لله، عصمة إلهية تجعل العصمة البشرية بالغة المدى لحد ينتج لرسالة، ونبوة إلهية، و﴿رَسُولًا نَبِيًّا﴾ مر بيانه وسطع برهانه.

﴿وَنَذِيئَتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ :

﴿الْأَيْمَنِ﴾ هنا كما في ﴿وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾^(١) صفة تفضيل لجانب، يعني الجانب الأيمن من الطور لا اليسار ولا اليمين، وليس صفة للطور حيث الأيمن في طه منصوب لا يناسب صفة للطور، وإنه لم يوصف في ثمان أخرى^(٢) بالأيمن! ولأن الوحي يمن ويمين فمناذاته جانب الأيمن مكاناً كما هو الأيمن مكانة! أفضل اليمن واليمين.

ثم و«من» تقرر منفذ الوحي إليه في كلام يسمع فليكن في مكان كما

(١) سورة طه، الآية: ٨٠.

(٢) هي ٢: ٦٢ و ٩٣ و ٤: ١٥٤ و ٢٨: ٢٩ و ٤٦ و ٥٢: ١، وقد وصف مرة بسيناء ٢٣: ٢٠

وأخرى بسنين ٩٥: ٢.

الموحى إليه في مكان، مهما لم يكن للموحي المنادي مكان ولا زمان، حيث يخلق الكلام كما يخلق سائر الخلق، ولكنه كلام خارق سنّة الكلام في لفظه ومعناه حيث هما من الله دون مكلم بشري أو ملائكي أمن ذا؟ فكما الله خلق المسيح دون أب، وخلق آدم دون أبوين، كذلك الكلام الذي كلّم به كلمه خلقه دون لسان وشفه ومخرج صوت.

﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا...﴾:

﴿نَجِيًّا﴾ حال من المقرّب وحال من المتقرب وعلى أية حال يعني النجوى كما يعني النجاة: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَاصُّوا نَجِيًّا﴾^(١) اللهم إلّا نجاة الله إذ لا يخاف حتى ينجو، فقد قربه ﴿نَجِيًّا﴾ هو عمن يبّعه أو يشغله من أهله، وعمن يتربص به دائرة السوء كآل فرعون، ومن ثم ﴿نَجِيًّا﴾ في نجواه إليه وحياً، ونجوى موسى إلى ربه وقد يجمعهما ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَى﴾^(٢) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى^(٣).

ف ﴿نَجِيًّا﴾ هذا يجمع بين شرطي ذلك القرب، سلباً في نجىّ النجاة عمن سوى الله، وإيجاباً في نجى النجوى مع الله، وقد يشير إلى نجاته ﴿فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ إِتْنَا بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾^(٤) - وإلى نجواه: ﴿وَأَنَا أَخْرَجْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾^(٥)!

وهل هناك نجىّ النجوى دون من إليه يوحى؟ أجل وقد يكون أجلّ وأجلى من بعض الرسل كأئمة الهدى^(٥) حيث النجوى تعم الوحي والإلهام

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٠.

(٢) سورة طه، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٣) سورة طه، الآية: ١٢.

(٤) سورة طه، الآية: ١٣.

(٥) نور الثقلين ٣: ٣٤٠ ج ٩٢ في بصائر الدرجات عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد =

بمراتبهما، فوحي النبوة يخص الأنبياء، وإذا ختم الوحي بختم النبوة فإلهام قد يكون أرقى من بعض الوحي كما كان يلهم إلى أئمة الهدى!

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ :

هارون! يا له من وهبة رحيمية ربانية لبلاغ الرسالة الموسوية ﴿نَبِيًّا﴾ :
رسولاً رفيع المنزلة هبة باستدعائه واستعداده ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ ﴿٥٤﴾ هَارُونَ
أَخِي... قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾﴾ (١)!

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ :

لم يذكر إسماعيل في (١٢) موضعاً يذكر في القرآن، بمشروح أحواله
إلا هنا، إلا شذراً أنه ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢) ﴿الْأَخْيَارِ﴾ (٣) ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى
الْعَالَمِينَ﴾ (٤).

= الله ﷺ إن سلمة بن كهيل يروي في علي أشياء قال: ما هي؟ قلت: حدثني أن رسول
الله ﷺ كان محاضر أهل الطائف وأنه خلا بعلي يوماً فقال رجل من أصحابه: عجباً لما نحن
فيه من الشدة وإنه يناجي هذا الغلام مثل اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: ما أنا بمناج له إنما
يناجي ربه فقال أبو عبد الله ﷺ: هذه أشياء يعرف بعضها من بعض أقول: يعني ﷺ أن
هذه النجوى تعم أئمة الهدى ﷺ وفيه ح ٩٤ بإسناده إلى أبي رافع قال: لما دعا رسول
الله ﷺ علياً يوم خيبر فتفل في عينيه ثم قال له: إذا أنت فتحتها فقف بين الناس فإن الله
أمرني بذلك قال أبو رافع فمضى علي ﷺ وأنا معه فلما أصبح بخيبر وقف بين الناس وأطال
الوقوف فقال الناس: إن علياً يناجي ربه، فلما مكث أمر بانتهاج المدينة التي افتتحها قال أبو
رافع فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن علياً وقف بين الناس كما أمرته فقال قوم: الله ناجاه؟
فقال: نعم يا أبا رافع، إن الله ناجاه يوم الطائف ويوم عقبة تبوك ويوم خيبر.
وفي رواية علي بن أعين عنه ﷺ في قصة الطائف.. فسمعنا صرير الرحا فقيل ما هذا يا
رسول الله ﷺ؟! قال: إن الله يناجي علياً أقول وإذا يناجيه في حياة الرسول فبأحرى أن
يناجيه بعد وفاته وهو وحده الرابط بينه وبين خلقه بالهامات متواصلة.

(١) سورة طه، الآيات: ٢٩ - ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٥.

(٣) سورة ص، الآية: ٤٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٦.